

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
رَبِّكَ سَبِيلَ رَحْمَةٍ

رسالة المسجد

السنة الثامنة - العدد السادس - جمادى الثانية 1431 هـ - جوان 2010 م

مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

✽ أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو.

✽ الولاء بين الدين وبين المواطنة.

✽ آفاق الدرس الأصولي في مباحث الخبر.



رسالة المسجد

مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

المدير العام مسؤول النشر

الدكتور **بوعبد الله غلام الله**
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

رئيس التحرير: الدكتور محمد عيسى، مدير التوجيه الديني والتعليم القرآني.
مستشار المدير العام: الأستاذ حمزة يدوغي، مفتش مركزي.
أمانة التحرير: الأستاذة منية سليم، المديرية الفرعية للبرامج وتحسين المستوى.

هيئة التحرير

- أ.د. عبد الله بوخلخال، مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.
- أ.د. عمار مساعدي، عميد كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.
- أ.د. عمار طالبي، باحث جامعي، رئيس المجلس العلمي لولاية الجزائر.
- أ.د. عبد القادر خياطي، مستشار السيد الوزير.
- د. يوسف بلمهدي مستشار السيد الوزير.
- د. عبد القادر فضيل، مدير مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية.
- د. مصطفى باجو، باحث جامعي.
- د. محند أو إدير مشنان، المدير الفرعي للتعليم القرآني.
- أ. يحيى دوري، المدير الفرعي للتوجيه الديني والنشاط المسجدي.

المشروبات

- 3 ■ الافتتاحية. /السيد الوزير.
- 12 ■ آفاق الدرس الأصولي في مباحث الخبر. الدكتور أحمد معبوط.
- 33 ■ قراءة مقاصدية لمناهج تكوين الإطارات الدينية. الأستاذة منية سليم.
- 42 ■ أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية. د. محفوظ بن صغير.
- 56 ■ الولاء بين الدين وبين المواطنة. معالي الدكتور عبدالله بن بيه.
- 68 ■ ظاهرة التطرف. الأستاذ الدكتور أحمد دكار.
- 89 ■ ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ خطبة نموذجية
- 93 ■ الشهادة ودورها في القضاء. الأستاذ: بهلولي أبو الفضل محمد

المسجد الجزائري يوم مؤسسات المجتمع في إرساء الأمن الفكري في المغرب العربي

الدكتور بو عبد الله غلام الله
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

نص الخطاب الذي ألقاه معالي الوزير في مفتح الملتقى الدولي حول "الأمن الفكري ودور مؤسسات المغرب العربي في إرسائه" الذي نظّمته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بمركب سيدي عقبة في ولاية بسكرة يومي 23-24 ماي 2010.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،
أيّها السيدات الفضليات، أيّها السادة الأفاضل،
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته؛ أما بعد،

فيسعدني أن أقف أمامكم لأحييكم وأرحب بكم جميعا وأخضر معكم فعاليات هذا الملتقى المبارك إن شاء الله الذي يتحضر لدراسة موضوع هام ألا وهو الأمن الفكري؛ هذا المصطلح الذي أصبح يحتل - كما تعلمون - مكانة معتبرة في الفضاء السياسي والثقافي للمجتمعات الحديثة؛ فقد عقدت له ملتقيات ووضعت فيه بحوث ودراسات؛ تؤكد كلها أنه مفهوم شامل متعدد الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعقيدية والسياسية؛ وليس أدل على ذلك من

التعريفات الكثيرة التي وضعت لهذا المصطلح ولعل أكثرها شمولية ودقة ذلك التعريف الذي يرى بأن الأمن الفكري هو الانسجام القائم بين ما يؤمن به المجتمع وبين ما يعيشه وما يتطلع إليه! ومن الواضح أن هذا التعريف ينطوي - كما تلاحظون - على العديد من المعاني والحقائق، وأولى هذه الحقائق استناد الأمن الفكري إلى مرجعية عقيدية ثقافية واحدة يؤمن بها المجتمع على تعدد نسيجه الثقافي والسياسي والاجتماعي؛ تنفر عن هذه المرجعية منظومة قيم يقدسها الجميع ويجسدها الجميع في السلوك الفردي والجماعي؛ مما يحقق التماسك والوحدة؛ لهذا المجتمع الذي يعيش عند ذلك بشكل صحي التعدد والتميز في إطار هذه الوحدة الجامعة؛ التي تقيه من كافة أنواع الصراع العرقي أو الطائفي أو المذهبي، ومن كل ألوان التعصب والتطرف والإكراه والعنف؛ وهذا ما يجعل تحقيق هذا الأمن الفكري مسؤولية المجتمع بكل مؤسساته التي تساهم في تشكيل الذهنية وصناعة الرأي العام وبث الوعي والحس المدني وتوجيه السلوك الفردي والجماعي؛ لأن الأمن الفكري هو أن يحس كل فرد في المجتمع بأن منظومته الأخلاقية والقانونية والفكرية التي تنظم علاقاته بمجتمعه وبدولته هي منظومة متماسكة متناسقة غير مهزوزة ولا مضطربة؛ ومعنى هذا كله أن صيانة مختلف مؤسسات المجتمع من الانحراف، بسبب تعدد مصادر التلقي، أو تعدد المرجعيات هو أمر أساسي لضمان هذا الأمن الفكري؛ لأن المجتمع الذي تصطدم مشاريعه عموماً بمنظومته الفكرية والأخلاقية التي تثرها مرجعيته العقيدية، من شأنه أن يعرف توترات وهزات تؤدي إلى الاغتراب عن الذات، وإلى التطرف والعنف!

هذا، باختصار شديد، ما يقوله الفكر الإنساني الوضعي بخصوص هذه القضية ذات الأهمية البالغة في حياة المجتمع العصري، فما هو منظور الإسلام لهذه المسألة، باعتباره منهاجاً شاملاً كاملاً لحياة الأفراد والجماعات والأمة؟!

كلنا يعلم - أيها السادة الأفاضل - أن الإسلام جاء أصلاً ليحافظ على الكليات الخمس،

وأولها العقيدة؛ الدين، ومعنى ذلك بالنسبة لمجتمع يدين بالإسلام أن اضطراب العقيدة هو اضطراب لكل أسسه التي يستند إليها أمنه بشكل عام، وأمنه الفكري بشكل خاص!

واضطراب عقيدة المجتمع يبدأ بالطعن في وحدة مرجعيتها أو بالاستهانة بها؛ أي الاستهانة بوحدة مصدر التلقي كما يسميها البعض اليوم، بمعنى أنه عندما تعدد مصادر التلقي في مجال العقيدة بالنسبة للمجتمع فإن ذلك مؤثر على الاضطراب والتصدع.

ولعل أحسن دليل نسوقه على أهمية الحفاظ على المرجعية الدينية الواحدة الموحدة هو ما جاء في الأثر من أن رسول الله صل الله عليه وسلم غضب حين رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي يده قطعة من التوراة، فقال له: أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟! والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي! وهذا ما يجعلنا ندرك سبب نهى رسول الله رسول الله صل الله عليه وسلم عن الابتداع في الدين والإفتاء بغير علم، لأن ذلك معناه سواد القوضى في أمور العقيدة وانقيادها للأمرجة والأهواء!

فالمرجعية الدينية هي الأساس إذن؛ فنحن نعلم أن هناك شرطين أساسيين لا تقوم حياة مجتمع بدونهما، وهما الكفاية من العيش والأمن والاستقرار؛ وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم على لسان خليل الرحمن عليه السلام عندما عاربه قائلا: "رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات"؛ غير أن القرآن الكريم الذي يفسر بعضه بعضا يخبرنا في آية أخرى أن هذين الشرطين لا يكونان شيئا إذا لم يستند إلى عقيدة واحدة موحدة، لذلك ربطهما بها مباشرة فقال: "فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف".

فالأمن نعمة كبرى وضرورة، بدونها لا تستقيم حياة ولا يتحقق عمران ولا تبني حضارة، ومن الطبيعي أن يظل مطلبنا تسعى إلى تحقيقه كل المجتمعات البشرية؛ بل إن القرآن الكريم يخبرنا أن الأمن نعمة حتى في الآخرة يختص الله بها عباده الفائزين يومئذ برضاه فقال:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ النمل: ٨٩ .

فليس هناك مجتمع اليوم لا يعلم أنه لا حياة من دون أمن غذائي وصحي واجتماعي، وهو ما أشار إليه حديث رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا" !.

فمن الطبيعي أن يعنى الإسلام بهذا المجال الحيوي ويشرع من العبادات ما يساهم في تحقيق الأمن عموماً ويحافظ عليه بمختلف هذه الأبعاد؛ عندما تحث على تعزيز الوحدة عن طريق التكافل والتضامن والتراحم والتعاون على البر والتقوى والتزام الجماعة؛ وما إلى ذلك !.

أيها السادة الأفاضل:

إن الأمن الفكري في مجتمع إسلامي يعني كما قلنا ارتباط هذا الفكر المجتهد المبدع بالمرجعية الدينية لهذا المجتمع، وانطلاقاً من هذا نقول إن أولى علامات اضطراب هذا الأمن الفكري عندما يتعد عن مرجعية الاعتدال هوبر و زظاهرة التطرف الديني والفكر التكفيري الناتج عن التعصب وإلغاء الآخر؛ هذا الفكر القائم على التأويل الباطل لنصوص الشريعة ولوقائع التاريخ الإسلامي ولنهج السلف الصالح !.

وهذا الفكر المتطرف المتصلب ينتعش في فضاء الجهل الذي يحرم من التمييز بين الخطاب الديني المتطرف الخاطي وبين الخطاب الديني المعتدل الصحيح .

كما أن هذا الفكر أحادي النظرة قائم على رفض المخالف ولو كان هذا الخلاف في مسألة فرعية لها سندها الفقهي؛ لأنه يرى في هذا المخالف خطراً على الدين يجب محاربته، بل والتقرب إلى الله سبحانه بتخليص المجتمع منه؛ هذا في المسائل الفقهية الفرعية فما بالكم بمخالفته في النظر إلى القضايا المدنية المعاصرة، كالديموقراطية وحقوق الإنسان والمواطنة وما إلى ذلك !.

وبناء على ذلك كله يتضح لنا أن معالجة الفكر المتطرف يبدأ بمعالجة ثقافة التطرف نفسها، ثقافة النظرة المتشددة إلى الدين وإلى التراث وإلى التاريخ وإلى الآخر؛ ولا سبيل إلى ذلك إلا بتفكيك أسانيد هذا الفكر المنحرف الخطير وتقنين مرجعيته وإبطال حججه!

ولقد عرفت الجزائر في هذا المجال أقصى امتحان، مما جعل خبرتها فيه من أوسع الخبرات وتجربتها من أغنى التجارب بالنظر إلى ما عانت من ويلات هذا الفكر الديني المتطرف؛ وما أثمره من إرهاب وحشي فاق كل تصور!

والذي يهمناهنا بالدرجة الأولى هو أن هذا الفكر المنظر للإرهاب يزعم أن مرجعيته إسلامية؛ وإذا استطاع أن يمتد زمنيا في فضاء فإن لذلك أسبابا عديدة ما تزال محل اهتمام الباحثين المختصين في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية وغيرها؛ لكن الملاحظ - في المجال الديني الذي يعيننا نحن هنا - أن الضعف في بداية مواجهة ظاهرة الإرهاب يعود حسب العديد من الباحثين إلى اكتفاء علمائنا بالإسراع إلى التبرأ منه وتبرئة الإسلام من أعماله الوحشية، دون تعرية كاملة لطبيعة هذا الفكر الدخيل ودون تحليل عميق لبواعثه، وفضح كامل لهشاشة أسانيد وتقنين مرجعيته كما قلنا؛ من ذلك على سبيل المثال فقط توضيح مفاهيم الجهاد والاستشهاد والحامية والتمكين للدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ومفهوم الولاء والولاية والأمة والآخر، وما إلى ذلك؛ لأن هذا الفكر التكفيري المتطرف يتغذى من إشاعة الفهم الخاطئة للدين والتأويلات الباطلة لمقاصد شريعته! ويجعل من ذلك كله سنده الشرعي ومرجعيته الدينية، ليخدع بها من لا يملك العلم الكافي للدرد عليه وفضحه ورفضه!

وبالفعل، فقد كان الخطاب الديني الانفعالي العاطفي هو الذي ساد أوساط الوعاظ والدعاة وعلماء الدين عموما، ممن تصدوا لهذه الظاهرة بإيمان وشجاعة، وتحملوا مسؤوليتهم في تبرئة الدين منها، لكن معظمهم ركز على التكفير والتفسيق وبيان العقاب الشديد الذي سيلقاه من يفسد في

الأرض ويروع الآمنين ويقتل النفس التي حرم الله ويرزعزع الاستقرار ويشل حركة الحياة، وكان من الحكمة، بل من الواجب أن ينتهجوا - بموازاة ذلك - أسلوب الاستمالة والتأثير لإيقاظ المغرر بهم وكسبهم بعد إقناعهم بأنهم في ضلال مبين!.

إن اتقاء شر هؤلاء وحماية المجتمع منهم أمر واجب، لأنه حفظ للنفس وللنظام العام ولحياة المجتمع، لكن المخدوعين منهم والمغرر بهم لهم على علمائهم حق النصيح والوعظ، فهم وحدهم القادرون على إعادتهم إلى رشدهم، وإقناعهم، بالحجة والبرهان، بأن ما يعتقدونه إيمانا وجهادا والتزاما دينيا إنما هو كفر وفسوق عن أمر الله واعتداء على حدوده وحرماته، ومناقضة لمقاصد الشريعة وانحراف عن قيمه ومبادئه!.

أيها السادة الأفاضل:

إنه مهما تكن نتائج البحوث والدراسات التي ما فتئت تلقي مزيدا من الأضواء على ظاهرة التطرف الديني والعنف والإرهاب في بلادنا، ومحاولة الكشف عن دواعي بروزها، فإن الذي لا شك فيه أن هذه الظاهرة غريبة عن المجتمع الجزائري، وأن مرجعيتها الدينية المزعومة وسنداتها ومرتكباتها دخيلة وافدة ليس لها أي امتداد في تاريخ الجزائر وأثراتها الفقهي المتراكم عبر العصور!.

وإذن فإن من الحقائق الكبرى التي ينتظر من هذا الملتقى العلمي المبارك أن يجليها بوضوح أن للمغرب العربي عامة وليس للجزائر وحدها، في مرجعيته الدينية المشتركة، وكذا في خصوصيته المذهبية في العقيدة والفقهاء والسلوك حصانة ذاتية من الغلو والتطرف والعنف والإرهاب؛ يضاف إلى ذلك كله ما رافق تدينه من اختيارات أساسية في قراءة القرآن الكريم وتفسيره وفي رواية السنة النبوية الشريفة وشرحها، وما اجتهد المجتمع العلمي في التأسيس لها؛ كقاعدة استقرار العمل وفقه النوازل والفقهاء المقاصدي واعتبار المآلات!.

فقد وضع علماء المغرب العربي، الذين خلفوا الفقهاء العشرة الذين بعثهم عمر بن العزيز ليفقهوا أهل هذه البلاد في الدين، مبادئ وأسساً كبرى في الممارسة الدينية اتسمت دائماً بالاعتدال والوسطية في العقيدة والفقه والسلوك، فكانت عبر الأجيال صماماً أماناً يحفظ من الانحراف عن الوسطية والغلو والتطرف والعنف!

فإلى هذه العوامل جميعاً يعود سر تماسك المجتمع الجزائري واستقراره فكان على مر الأجيال والعصور مثلاً للمجتمع الإسلامي القائم على تنوع النسيج الثقافي واللغوي والاجتماعي في إطار وحدة دينية ووطنية جامعة، لم يعرف معها أي لون من ألوان الصراع المذهبي أو الطائفي أو اللغوي، ناهيك عن التطرف الديني والعنف والإرهاب.

ولقد هيا الله له من العلماء من تعهد هذه القيم والأسس والمبادئ، ممن تخرجهم الزوايا العامة المنتشرة في كافة ربوع الوطن، والتي ظلت منارات للهدى ومراكز للإشعاع العلمي والروحي المستنير بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراث السلف الصالح، أولئك العلماء الذين كانوا محل تقدير المشرق والمغرب على حد سواء لأنهم كانوا حجة في شتى علوم الشريعة؛ مما جعل مجتمعهم يقدرهم حق قدرهم ويزداد بهم ثقة واعتزازاً، فظل هؤلاء العلماء على مر الأجيال، رقباء على المجتمع الجزائري يصححون له مساره في التدين نحو الاعتدال والوسطية، ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؛ ويربطونه بمرجعيته الدينية والثقافية.

والإشكالية التي يطرحها هذا الملتقى للدراسة والبحث، هي أن هذا النفوذ العلمي الذي كان للعلماء قد انحسر لأسباب وعوامل موضوعية عديدة متكاملة، وخلف ذلك فراغاً أغرى المتحدين باسم الدين ممن ليسوا مؤهلين علمياً لذلك، باستيراد مناهج في ممارسته هي أصلح للبيئات التي نشأت فيها وأكثر توافقاً وانسجاماً مع طباع المجتمعات التي أفتاها علماءها وبمقتضاها؛ بل إن الأمر قد وصل بعضهم إلى الحد الذي أحيوا فيه من بطون الكتب فقها لم يعد صالحاً للعصر الذي نعيشه

وللمنطق الذي تفرضه طبيعة الحياة فيه؛ وهكذا شاعت فتاوى مہجورة الباعث إلى إحيائها هو حب التميز والصدارة والزعامة؛ وكان من الطبيعي، بل الحتمي أن تخض هذه الأفكار الدخيلة عن سلوك متطرف في التكفير والتفسيق وعن ظاهرة الإرهاب الذي استباح الدماء واستحل انتهاك الأعراس والفساد في الأرض.

أيها السادة الأفاضل:

إن من الحقائق الكبرى التي ينتظر من هذا الملتقى أن يبرزها كذلك هي أن الفكر التكفيري الإرهابي دخل على المجتمع الجزائري، كما أسلفت؛ غريب عنه وافد عليه، ليس له أي سند في مرجعيته الدينية والثقافية والحضارية، وليس له أي امتداد في تاريخه القديم والحديث، أو أي حضور في تراثه الفقهي المتراكم عبر الأجيال والعصور؛ فالجزائر التي احتضنت الإسلام منذ الخطوات الأولى للرسالة المحمدية، عاشته عقيدة وأحكاماً وقيماً ومبادئ وآداباً، في عقد الأشعري ومذهب الإمام مالك والتصوف السني الصحيح على طريقة الجنيد السالك مما جعلها تجسد مدرسة الاعتدال والوسطية التي مكنت لفضائل الرق واللين والتسامح والحلم والتعفف والإحسان إلى الخلق، فتجلى ذلك كله في السلوك الفردي والجماعي للمجتمع الجزائري؛ ليس فقط في حالات اليسر والاستقرار والسلم بل حتى في حالات الاضطراب والحرب التي تمتحن فيها معادن الأفراد والمجتمعات؛ وتبرز ما تنطوي عليه من الفضائل أو الرذائل؛ ولعل أقرب مثال لذلك في تاريخ الجزائر الحديث، مواقف الأمير عبد القادر الإنسانية التي بهرت أحرار العالم، سواء في حسن معاملته للأسرى أو في احترام المعاهدات؛ وكذلك ثورة نوفمبر التي قدمت أروع الأمثلة للأخلاق الإنسانية الرفيعة؛ لأن المرجعية في الحالتين، هي سيرة المبعوث رحمة للعالمين صل الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده، رضي الله عنهما أجمعين، الذين كانوا يوصون جيوشهم ألا يقطعوا شجرة ولا يحرقوا رعا ولا يروعوا عابداً آمناً في صومعته، فكيف بازهاق نفس بغير حق؟!.

ولكن أين الإرهاب الأعنى من هذه الفضائل السامية والأخلاق الرفيعة؟! وأية علاقة تربطه بهذه الذات السامية النبيلة؟

وكيف تكون له أدلى صلة بذلك كله وهو متكرر أصلاً لأهداف شهداء الجرائر ومجاهديها ولتضحيات المجتمع الجزائري برمته طوال قرن وثلث القرن، من أجل استرجاع عرته وكرامته وسيادته وإقامة دولته على مبادئ الإسلام، الذي به توحدوبه صمدوبه جاهدوبه انتصر؟! .
أيها السادة الأفاضل:

أود أن أشير في الختام إلى أن أحداً لأهداف الكبرى المنشودة من هذا الملتقى المبارك هو تقديم اقتراحات عملية من شأنها أن تحصن المجتمع من ظاهرة التكفير، بإبطال مذهبياتها الدخيلة، ومن ظاهرة التطرف الفكري والسلوكي؛ وكذا التأسيس لتصور متكامل عن مؤسسات الفتوى ومعاهد تخرج الأئمة والمرشدين الدينيين، وعن المشاركة الإعلامية في القنوات الفضائية المتخصصة وفي الصحف المكتوبة والإذاعة، كما يرسم معالم لدور النشر ومنابر مناقشة الأفكار وغير ذلك مما هو من تجارب الأمم الأخرى أو من هدي التفكير العلمي المنهجي .

هذا؛ وإني إذا جددت رجائي بكم جميعاً والإعراب عن سعادتي بوجودي بينكم، أسأل المولى تعالى أن يكلل جهودكم بالنجاح، ليحقق هذا الملتقى المبارك الأهداف المنشودة من تنظيمه .
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .